يشبع بطنه فلا يوثر فيه اصلا فان مقصود الاكل بقا الحيوة وقوة العباده وثقل الطعام يمنع من العباده
والم الجوع ايضا يشغل القلب ويمنع منه فالمقصود ان ياكل اكلا لا يبقى للاكل فيه اثر ليكون متشبها
بالملايكه فانهم مقدسون عن ثقل الطعام وعن الم الجوع وغاية الانسان الاقتدا بهم واذا لم يكن
للانسان خلاص من الشبع والجوع فابعد الاحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال ومثال طلب
الادمي البعد عن هذه الاطراف المتقابله بالجوع الى الوسط مثال نملة القيت في وسط حلقه محمية
على النار مطروحة على الارض فان النمله تهرب من حرارة الحلقه وهي محيطه بها لا تقدر على الخروج
فلا تزال تهرب حتى تستقر على المركز الذي هو الوسط لان الوسط ولو ماتت ماتت على
الوسط لان الوسط هو ابعد المواضع عن الحراره التي في الحلقه المحيطة فكذلك الشهوات محيطه
بالانسان احاطة تلك الحلقة والملايكه خارجون عن الحلقه ولا مطمع للانسان في الخروج وهو يريد
ان يتشبه بالملايكه في الخلاص فاشبه احواله به البعد وابعد المواضع عن الاطراف الوسط
فصار الوسط مطلوبا في جميع هذه الاخلاق المتقابله وعنه عبر بقوله صلى الله عليه وسلم خير الامور
اوساطها واليه اشار بقوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا ومهما لم يحس الانسان بجوع ولا شبع
تيسر له العباده والفكره وخف في نفسه وقوي على العمل مع خفته ولكن هذا بعد اعتدال الطبع اما
في بدايه الامر اذا كانت النفس جموحا متشوقة الى الشهوات مايلة الى الافراط فالاعتدال
لا ينفعها بل لا بد من المبالغه في ايلامها بالجوع كما يبالغ في ايلام الدابه التي ليست مروضه بالجوع
والضرب وغيره الى ان تعتدل فاذا ارتاضت واستوت رجع الى الاعتدال وترك تعذيبها وايلامها
وعن هذا السر يامر الشيخ مريده بما لا انبساط له في نفسه فيامره بالجوع وهو لا يجوع ويمنعه
الفواكه والشهوات وهو لا يمتنع منها لانه قد فرغ من تاديب نفسه فاستغنى عن التعذيب ولما كان اغلب
احوال النفس الشره والشهوة والجماح عن العباده كان الاصلح له الجوع الذي يحس بالمه في اكثر الاحوال ليتكسر
والمقصود ان ينكسر حتى يعتدل فيرد بعد ذلك في الغذا ايضا الى الاعتدال فانما يمتنع من ملازمة
الجوع من سلك طريق الاخرة اما صديق واما مغرور احمق اما الصديق فلاستقامة نفسه على
الصراط المستقيم واستغنائه عن ان يساق بسياط الجوع الى الحق واما المغرور فلظنه بنفسه انه
الصديق المستغني عن تاديب نفسه الظان بنفسه خيرا وهو غرور عظيم وهو الغالب فان النفس قلما
تتادب تادبا كاملا وكثيرا ما يغتر فينظر الى الصديق ومسامحته نفسه في ذلك فيسامح نفسه كالمريض
ينظر الى من صح من مرضه فيتناول ما يتناوله ويظن بنفسه الصحه حتى يهلك والذي يدل على ان تقدير
الطعام بمقدار يسير في وقت مخصوص ونوع مخصوص ليس مقصودا في نفسه وانما هو مجاهده نفس متباينة عن
الحق عزيا لغة رتبه الكمال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له تقدير وتاقيت لطعامه قالت عايشه



رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وكان
يدخل على اهله فيقول هل عندكم من شي فان قالوا نعم اكل وان قالوا لا قال اني اذن صايم
وقد كان يقدم اليه الشي فيقول اما اني كنت اردت الصوم ثم ياكل وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وقال
اني صايم فقالت عايشه رضي الله عنها قد اهدي الينا حيس فقال كنت اردت الصوم
ولكن قربيه ولذلك حكي ان سهلا قيل له كيف كنت في بدايه امرك فاخبر بضروب من الرياضات
منها انه كان يقتات ورق النبق ومنها انه اكل دقاق التبن ثلث سنين ثم ذكر انه اقتات بثلثة دراهم
في ثلث سنين فقيل له وكيف انت في وقتك قال آكل بلا حد ولا توقيت وليس المراد بقوله بلا حد اي
اكل كثيرا اي لا اقدر بمقدار واحد ما آكله وقد كان معروف الكرخي يهدى اليه طيبات الطعام فياكل
فيقال له ان اخاك بشرا لا ياكل من هذا فيقول اخي بشر قبضه الورع وانا بسطتني المعرفة ثم قال
انما انا ضيف في دار مولاي اذا اطعمني اكلت واذا اجوعني صبرت ما لي والاعتراض والتمييز ودفع
ابرهيم بن ادهم الى بعض اخوانه دراهم فقال خذ لنا بهذه زبدا وعسلا وخبزا حواري فقال يا ابا
اسحق بهذا كله فقال ويحك اذا وجدنا اكلنا اكل الرجال واذا عدمنا صبرنا صبر الرجال واصلح
ذات يوم طعاما فاكثر ودعا نفرا يسيرا فيهم الاوزاعي والثوري فقال له الثوري اما تخاف ان يكون
هذا اسرافا فقال ليس في الطعام اسراف انما الاسراف في اللباس والاثاث فالذي ياخذ العلم
من السماع والنقل تقليدا يرى هذا من ابرهيم بن ادهم ويسمع من مالك بن دينار انه قال ما دخل الملح
بيتي منذ عشرين سنة وعن سري السقطي انه منذ اربعين سنة اشتهي ان اغمس جوزة في دبس
فلم افعل فيراه متناقضا او يتحير او يقطع بان احدهما مخطي والبصير باسرار العلم يعلم ان كل ذلك
حق ولكن بالاضافة الى اختلاف الاحوال ثم هذه الاحوال المختلفه يسمعها فطن محتاط وغبي مغرور
فيقول المحتاط ما انا من جملة العارفين حتى اسامح نفسي فليست نفسي اطوع من نفس سري السقطي
ومالك بن دينار وهما من الممتنعين من الشهوات فيقتدي بهم والمغرور يقول وما نفسي علي باعصى من
نفس معروف الكرخي وابرهيم بن ادهم فاقتدي بهم وارفع التقدير عن ماكولي فانا ايضا ضيف في
دار مولاي فما لي والاعتراض ثم انه لو قصر احد في حقه وفي توقيره او في ماله وجاهه بنظرة واحده
قامت القيامه عليه واشتغل بالاعتراض وهذا مجال رحب للشيطان مع الحمقى بل رفع التقدير في
الطعام والصيام واكل الشهوات لا يسلم الا لمن ينظر من مشكاة الولايه او النبوه فيكون بينه
وبين الله تعالى علامة في انبساطه وانقباضه ولا يكون ذلك الا بعد خروج النفس عن طاعة الهوى
والعاده بالكليه حتى يكون اكله اذا اكل على نية كما يكون امساكه بنية فيكون عاملا لله تعالى
في اكله وافطاره وينبغي ان يتعلم الحزم من عمر رضي الله عنه فانه كان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم

Copyright © King Saud University